إضاءة

عالَم تحكمه الرقابة والأكاذيب

في الدولة البوليسية الرقمية

يُظهر العدوان على غزّة أنّ ما يجري على المستوى العالمي هو إعادة إنتاجٍ للدولة البوليسية، من خلال الشركات التكنولوجية التي تعمل على تزييف اللغة والتضييق على حرّيات الأفراد الذين يعبّرون عن تضامنهم مع قضية إنسانية أو يقفون ضدّ حرب إجرامية

أسامة إسبر

كان أوّل ما كشفه العدوان الإسرائيلي على غزّة، في ضوء ما أشار إليه الروائيّ البريطاني جورج أورويل في روايته الشهيرة «1984»، في عصر الإعلام الرقمي المعولَم هو واقع قائمٌ يخيّم شبحه لا فوق الغرب فحسب، بل على العالم كلّه، ذلك أنّ هناك اليوم وزارة حقيقة، كما سماها أورويل، تُهيمن على الإعلام الرقمي والاجتماعي: «فيسبوك» و«تويتر» و«إنستغرام» و«تيك توك»، ولا تختلف في رقابتها على الكلمة والصورة عن رقابة وزارات الإعلام في البلدان الاستبدادية. وبما أنّنا كعرب نستخدم أدوات الإعلام الرقمي، فنحن بالتالي خاضعون لرقابة وزارة الحقيقة الرقمية، ما يعني أنّ الرقابة صارت مزدوجة: رقابةٌ تمارَس على المستوى المحلّي، تمارسها سلطة ما ضمن البلد الذي يعيش فيه الإنسان في أيّ مكان في العالَم، وخاصّة في العالم العربي، ورقابةٌ كونية ضمن الكون الإعلامي الذي صار العربي طرفاً فيه رغماً عن أنف الرقابة المحلّية.

طوّر الاستبداد في منطقتنا العربية، تاريخيّاً، رقابة ذاتية داخل الفرد أدّت إلى ممارسة كمّ الأفواه ذاتياً خوفاً من القمع والملاحقة، فإذا كان الفضاء العامّ مصادراً، ويمنع المواطن من أن يُدلي برأيه في مسائل تمسّ حياته ومصيره في السياسة والاقتصاد والاجتماع، فهذا يعني أنّ الإنسان يعيش في مستوى أدنى من إنسانيته، حيث تنحصر حياته في الانصراف إلى تأمين طعامه واستمراريّته البيولوجية، فيما تُوجَّه ضربة قاضية لبنيته الثقافية والإنسانية، أي للجوهر الذي يعرّفه كإنسان حديث موجود في العالم. وبالتالي يوجد كجِرْمٍ أو رقم أو كتلة، وليس كجسد مشحون بالروح الثقافية التي تجعل منه إنساناً كونياً.

ما يجري الآن على المستوى السياسيّ العالمي هو إعادة إنتاج الدولة البوليسية من خلال الدور الذي يمكن أن تلعبه الشركات الكبرى، لكن بطرق أكثر مكراً، إلّا أنها تكون أحياناً فاقعة وفاضحة، مثل التضييق على أفراد يعلنون على صفحاتهم الشخصية في فيسبوك تضامنهم مع قضية إنسانية ما، أو يقفون ضدّ حرب إجراميّة ظالمة إذا قرّر «سادة العالم» أنّه يجب أن تتواصل، بل يجب أن تُوجَّه العقول كي تفكّر فيها بطريقة محدّدة تنسجم مع توجّهات معينة.

صار مفكّرون وفلاسفة في الغرب ترجمناهم إلى اللغة العربية وأثّروا في أفكارنا يخافون على أرزاقهم في هذه الشبكة الكونية الخاضعة لرقابة شديدة. ولهذا رأيناهم يخافون من إعلان تضامنهم مع الضحية ويستخدمون لغةً مهادنة وبعيدة عن الحقيقة تُبقيهم على كراسيهم النفعيّة وفي الجامعات التي يبدو أنّها غير معنية بالقضايا الكونية الإنسانية، وأنّها مراكز فكرية تخصّصية لا أكثر.

كانت وزارات الإعلام في العالم العربي بموظّفيها وكوادرها هي التي تدير الخطاب السياسي والاجتماعي والثقافي قبل انتشار الإعلام الرقمي وتطوّراته المذهلة. وكان الخبر يُطبخ على نار التوجّهات الأيديولوجية، وكانت السمة الرئيسة للإعلام هي حجب الحقيقة وطمسها وتصنيع لغة تقوم على التزييف والتدليس والدجل.

إلّا أن هذا النوع من الرقابة الشمولية كان فيه شقوق وأجزاء سائبة من حدوده غير محروسة كلّياً، وكانت المجلّات والكتب والمقالات تُهرّب يدوياً وتنتشر سرّاً بين الأشخاص، وكان بعض الناشرين الشجعان يغامرون ويطبعون الكتب دون العودة إلى رقابة وزارة الإعلام وانتظار ختم الرقابة، إلّا أنّ نقل الرقابة إلى الفضاء الافتراضي أخضع الإعلام لسيطرة أكثر مركزية، ذلك أنّ مجموعة من الأفراد يشكّلون كادراً وظيفياً يمكن أن يوجدوا في أيّ مكان في العالم، عبر تبعيتهم للشركة التي يعملون فيها ويراقبون كلّ ما يُكتب في لغة ما، ويمكن أن نطلق عليهم التسمية نفسها التي ابتكرها أورويل: وزارة الحقيقة.

وبما أنّ عدوان غزّة لا يزال قائماً حتّى الآن، وثمّة تحيّزا أعمى من قبل الشركات والمؤسّسات الرسمية الحاكمة في الغرب، فإنّ عملية رقابة دقيقة تتمّ على كلّ ما يُكتب في الإعلام الاجتماعي. وقد يخسر شخصٌ ما وظيفته إذا تجرّأ وطرح رأياً شجاعاً، أو قد يُغلَق حسابه ويُهكّر ويُحذف وتُمارس عليه حروب إبعاد من الفضاء العام، كما حدث مع كثير من الأفراد. تطوّرت الرقابة الإعلامية في عالمنا العربي من كونها رقابة على المطبوعات قائمة على القراءة الحرفية لكلّ ما يُكتب إلى رقابة إلكترونية افتراضية قائمة على قراءة مواقع وحسابات الأفراد، كما استفادت الأنظمة القمعيّة من التطوّر التكنولوجي واستوردت تقنيات وأجهزة اختراقية قادرة على حجب المواقع وإغلاقها. فمثلاً على صعيد المجلّات، كانت وزارات الإعلام في دولة عربية معيّنة تمارس رقابة مادّية قائمة على مصادرة أو منع دخول مجلّات كثيرة مطبوعة، وصارت كلّ وزارة قادرة الآن - حينما تقرّر - على حجب موقع أيّ مجلّة. علاوة على ذلك، فإنّ تحكُّم الدول بشبكة الكهرباء والإنترنت يساعدها أيضاً في خيارات التعتيم وحجب الحقيقة.

يتطوّر عصرنا بخطوات مُذهلة، وصار الكون أخباراً ومعلومات تتدفّق على الشاشات الكبيرة والصغيرة أمامنا، حتّى أنّه يمكن القول إنّ الكون اختُزل في شاشة هاتف نقّال أو حاسوب ويمكن وضعه في الجيب، وصرنا آلات أخرى تنقر بأصابعها على أزرار الآلات وتلصق أعينها بالشاشات كي تعرف ما يجري في العالم، غير أنّ معرفة حقيقة ما يجري تطرح مشكلة كبرى، إذ إنّنا لا نعرف الحقيقة من الزيف أحياناً، وليس بوسعنا الوصول إلى شهود عيان، بل علينا أحياناً إذا كنّا نعيش في الغرب أن نتعلّم لغة أُخرى كي نسمع الأخبار عمّا يجري في العالم بعيداً عن التحيّز واللعب.

لهذا فسدت اللغة ولم تعد قادرة على نقل الحقيقة. إنّ اللغة التي تتدفّق عبر وسائل الإعلام الرقمي والاجتماعي تمثّل التيار الرئيس، وهي اللغة التي تمكر وتتآمر على الحقائق، بل وتزيّفها وتصنع حقائق وتفرضها على الجميع في تعميم للكذب والنفاق وثقافة الاستسهال. تحدّث فلاسفةٌ كثيرون عن موت الحقيقة وكان أبرزهم نيتشه قبل وقت طويل من هذا التطوّر المُذهل الذي نعيشه في عصرنا.

(شاعر ومترجم سوري مقيم في الولايات المتّحدة)

المتحكّمون بتكنولوجيا المعلومات يريدون تعميم الكذب

يخضع استخدام اللغة لأيديولوجيا هدفها مصادرة الحقيقة

متظاهر فلسطيني في غزّة يحمل لافتة احتجاج ضدّ «فيسبوك»، 29 تشرين الأوّل/أكتوبر 2016 (Getty)

النص الكامل على الموقع الالكتروني

نيتشه و«الوحوش الذكية»

استناداً إلى ما سمّاه نيتشه «الوحوش الذكية» التي تحوّل ما أنتجته من معرفة إلى أدوات للإخضاع والهيمنة، يمكن أن نقول إنّ القوى التي تهيمن على العالم الآن قادرة على تحويل الحقيقة إلى شكل من أشكال العقد الاجتماعي أو «اتفاقية سلام» بين الناس، أي إلى كذبة يُنظر إليها ويجرى تداولها كحقيقة، وبالتالي يوظّف الناس الاستعارات المعتادة، ويكذبون بحسب تقليد ثابت، مع القطيع وبطريقة ملزِمة للجميع.

إطلالة

جرائم مكشوفة لن تطمسها الكلمات

إبادةٌ ومراوَغاتٌ لغوية

لا تخفى على أحد كيفيّة استخدام اللغة في خطاب مُجرمي الحرب الإسرائيليّين وحلفائهم الغربيّين لتغطية الإبادة بحقّ الفلسطينيّين في غزّة

عاطف الشاعر

لا يوجد مثال صارخ ومدوّ في ما يخصُ النفاق الغربي، أكثر ممّا هو الحال تجاه فلسطين والوضع في غزّة في العصر الحديث. فلطالما لعبت الأنظمة الغربية، وأقصد الدول الأقوى فيها، مثل أميركا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، على عُقَد لُغوية معيّنة من قبيل نشْر الديمقراطية والتخلُّص من نظام شرّير. العراق وليبيا مثالان واضحان على ذلك، حيثُ شُحذت هممٌ لُغوية كثيرة تتغنّى بالحرّية والتنوير ونشرهما، بينما كانت النتائج نزيف دم عربيّ، وفوضى عارمة إلى ما لا نهاية، في هذه الدول التي تعاني الويلات إثر تلك التدخّلات البغيضة. وفي حالة غزّة وفلسطين عُموماً، تبرُز اللّغة كحقل مراوَغة غربيّة بامتياز، ومفهوم المراوَغة في اللّغة هو مبحثٌ مهمّ أدلى فيه بدلوه عالم اللّغويات المجتمعية ياسر سليمان معالي، حيث أشار في كتابه «اللّغة العربية في ساحات الوغى: دراسة في الأيديولوجيا والقلق والإرهاب»، الصّادر حديثاً عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، إلى أنّ «اللّغة مفهوم مراوِغ، إذ يصعب ترسيم حدودها تاريخياً أو جغرافياً، كما يصعب تحديد عدد لهجاتها، أو الاتّفاق على كامل عناصر متنها أو حيثيات وضعها. وإنّ معاني اللّغة الاجتماعية تختلف وتتباين من عصر إلى عصر، ومن فضاء إلى فضاء، ومن سياق إلى سياق».

هذا تعريف موفَّق للّغة لكونه اعترافاً ضرورياً بظاهرة لطالما تناطح علماء كُثر على تعريفها، واحتكارها بتعريفات تميل إلى جهة فكرية أو أُخرى، وكأنّ أحداً يقدر أن يعطي تعريفاً جامعاً مانعاً إلى آخر الزمان لهذه الظاهرة المركّبة والمعقّدة.

لكنّ المراوَغات اللّغوية، التي نراها كثيراً في المجال السياسي، تدخل في نطاق الشرّ المطلَق والبغيض، حين تتلاعب اللّغة وتراوغ على حساب حياة البشر، وقُدرتهم على البقاء جسديّاً وككينونة اجتماعية وسياسية. فها هي غزّة تُطحن وتُباد موتاً ودماراً كلّ يوم بأدوات القتل والبطش والدمار الصهيونية، فلا نرى الغضب ولا التفاعل المناسب مع الأحداث من وسائل الإعلام الغربية. والعكس صحيح؛ حيث نرى المراوَغة من خلال التركيز المُتكرّر على عملية المقاومة الفلسطينية في السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023، وكأنّ تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بدأ وانتهى في ذاك اليوم، فأصبح كلُّ ما بعده هوامش تُبرَّر من خلالها أقصى الجرائم، من التعدّي على المستشفيات إلى تدمير الجامعات، إلى قتل عائلات بالجملة، إلى منع الطعام والشّراب والدواء عن مليونين وثلاثمئة ألف شخص. اللّغة حقلُ مراوَغة غربية بامتياز في هذا السياق. والمراوَغة هنا من نوع شرّير بشكل ممنهج وفجّ، فلا يخفى على أحد القهر والظّلم الدفينان في خطاب الساسة الغربيّين من الدول المذكورة تُجاه غزّة والشعب الفلسطيني بشكل عام. يطلّ علينا الحبر اليهودي الأكبر في بريطانيا، إيفرايم ميرفيس، في مقالة له بصحيفة «سنداي تلغراف»، يُشيد بـ«إسرائيل»، ويُسمّي مجازرها في غزّة بـ«الحرب العادلة»، وينعت بأشدّ العبارات أولئك الذين يُشيرون إلى مجازرها بالإبادة، وكأنّه لا يرى التعمّد المقصود لقصف البنية التحتية من مستشفيات ومدارس وجامعات، والقتل بالجملة لعائلات بأكملها، واستهداف الأطفال المريع، وكأنّه لا يرى، أو لا يريد أن يرى، أنّ أكثر من اثني عشر ألفاً من الأطفال، وآلافاً من النساء والأبرياء، قتلتهم «إسرائيل» في هذه الإبادة الجماعية. يرتكب هذا الرجُل مقتلة لغوية بحقّ الفلسطينيّين ومناصريهم، ويُعلي من شأن القتَلة، فقط لأنّهم يدينون بديانته، لا غير. لا يمكن أن يكون هذا رجُل دِين حقّاً أو «رجُل سلام»، أياً كانت ديانته أو ملّته، إنّما هو بوق من أبواق الإجرام الصهيوني الذي لم يتوقّف منذ النكبة. من سيصدّق أيّة موضوعية أو «نزاهة» غربية بعد ذلك؟

وحين «بطع البالون»، كما نقول باللّهجة الغزّاوية، رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي، المُجرم بنيامين نتنياهو، وعبّر بشكل لا لبْس فيه عن رفضه ما يُسمّى «حلّ الدولتين»، وهو حلّ مستحيل في ضوء الوقائع الصهيونية على الأرض الفلسطينية، تجاوبت أنظمة الغرب السياسية مع هذا الرفض بمراوَغات لغوية ليّنة، لا تتناسب أبداً وتلك التي يستخدمونها مع عوالم عربية وإسلامية، أو مع روسيا وغيرها، حين لا تتبع سبلها السياسية. فالرئيس الأميركي حاول، من خلال مراوَغة لغوية، أن يُخفّف من وطأة رفض نتنياهو، معتبراً أنّ هناك صيغاً كثيرة لحلّ الدولتين، ونتنياهو لا يُعارضها، وكأنّه يُريد أن يقول إنّ نتنياهو كان لا يعني ما يقوله حين كرّر رفضه لحلّ الدولتين. فلا يجب التنازل عن شمّاعة حلّ الدولتين، فهي شمّاعة مناسبة لتبرير المجازر والاستمرار الغربي في دعم «إسرائيل» والوقوف بجانبها.

(شاعر وأكاديمي فلسطيني مُقيم في لندن)

في حالة فلسطين، تصبِح اللغة حقل مراوَغة غربية بامتياز

النص الكامل على الموقع الالكتروني

من مظاهرة في لندن تنديداً بالإبادة الجماعية في غزّة، 20 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

أصدقاء فلسطين

لتصِل صرخات أطفال غزّة الغاضبة إلى كلّ مكان

طباشير

بول لافيرتي

الطباشير.
هل توقّفت مرّةً للتفكير به منذ أن تركتَ المدرسة؟
الطبشور ناعم. مادّة مصنوعة من حبيبات من كالسيت المعدن والبذيرات الجيرية.
يمكن سحقها بسهولة
كما أنّها تنجرف مع المطر.
تُرى هل يمكن أن تجرفها الدموع؟
الأطفال ناعمون،
وهُم مصنوعون من العظام (البروتين والكولاجين والمعادن، وخاصّة الكالسيوم).
يمكن سحقهم بسهولة.
غزّة كرة ثلج،
والعالم يتأمّل جوفها.
كلّ ندفة شظيّة
ونقاطٌ صغيرة في الداخل
تتراكم لتُشكّل أرتالاً من النمل.
تُرى هل تشعر بالتشنّج في حفرة معدتك في الصباح، حين تُشغّل الشاشة
والأرقام ترتفع؟
تُرى هل تذهب إلى السرير ولا يمكنك النوم
لأنك لا تستطيع أن ترى في الظلام إلّا
أطرافاً ملتوية تحت الركام،
شفاهاً جافّة ومتشقّقة تنزف آهات مكتومة،
موتاً بطيئاً لا تتمنّاه حتّى للكلاب؟
هل تشعر بالغضب الذي يرجّ جسدك،
ويكسر روحك،
ويحرق دماغك عند أعلى درجة حرارة من
تلك الأسلحة الفوسفورية التي تصنعها الولايات المتّحدة؟
(هل تتذكّر مبلغ الـ172 ملياراً الذي قدّمه العم سام
كي يبثّ الحياة في نظام الفصل العنصري)
حين طالب بايدن وسوناك وستارمر ورفاقه
«بمزيدٍ من الدقّة»
فيما كانت القنابل الخارقة للتحصينات في غزّة،
تحصد 6300 روح لكلّ كيلومتر مربع،
أي سبعة وأربعين بالمئة من الأطفال؟
الأطفال ناعمون.
ومن السهل سحقهم.
رماد على رماد، وغبار على غبار.
هل تجلس في المطبخ
وتتساءل من أنت، ما العمل،
حين يكون «ميثاق الأمم المتّحدة» و«اتفاقية جنيف»
مجرّد ورق مرحاض يستخدمه شركاء الموت
حين يتغوّطون على الكرامة؟
هل يستنزف الثقب الأسود على حافّة اليأس
قوّتك ويدفعك إلى الاختباء؟
«ولكن ما فائدة هذا بالنسبة إلينا»:
نسمع أصوت أطفال غزّة وهُم يشجبون.
نتذكّر الطفولة.
تأخذ قطعة من الطباشير.
صغيرة وحقيقية،
ليست رقمية، ليست تغريدة،
وليست مدوّنة.
لحم على الطباشير.
يتّسع لها جيبك، ويمكنك وضعها داخل جاربك
أو في محفظتك.
تأخذها معك،
تمشي مع الطباشير.
تشعر أنّ جسدك وعقلك متّصلان
فيما تمسكها بيدك.
ما الذي يحمله هذا النسيم؟
همساتٌ خافتةٌ تخرج من تحت الأنقاض.
ماذا سيقول أطفال غزّة لنا
لو كانت لديهم هذه الطباشير؟

(نُشر النص في موقع Acción y Contexto الإسباني. ترجمة: جعفر العلوني)

طفلٌ فلسطيني في مدرسة برفح، 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023 (Getty)

بطاقة

Paul Laverty محامٍ وكاتب سيناريو اسكتلندي من مواليد الهند عام 1957. يُعدّ من أبرز المتعاونين مع المخرج البريطاني كين لوتش، وقد عُرف الاثنان بدعمهما للقضية الفلسطينية ومطالبتهما بمقاطعة «إسرائيل». من أبرز أعماله السينمائية: فيلم «البلّوط القديم» (2023).

النص الكامل على الموقع الالكتروني

فعاليات

عند الرابعة من عصر بعد غدٍ السبت، تُقام في مدريد مظاهرة شعبية بعنوان **معاً ضد الإبادة الجماعية**، وذلك تنديداً بالعدوان الصهيوني على غزّة، ودعماً للشعب الفلسطيني في نضاله ضدّ الاحتلال. تتجمّع المظاهرة، التي دعت إليها جهات وهيئات مدنية، في ساحة أتوتشا للقطارات، وترفع شعار **قطع كافّة العلاقات مع إسرائيل**.

جنين جنين (2002) عنوان فيلم وثائقي يعرضه فضاء «لا كاسا بيرافا» في العاصمة المكسيكية، عند السابعة والنصف من مساء الثاني والعشرين من شباط/ فبراير المُقبل. في 58 دقيقة، يتناول الشريط الذي أخرجه **محمّد بكري** معركة جنين التي دارت بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية عام 2002، ويوثّق للمجزرة التي ارتكبها الاحتلال في مخيّم جنين.

عند العاشرة من صباح بعد غدٍ السبت، تُقام في العاصمة الكولومبية بوغوتا مظاهرة شعبية بعنوان **معاً من أجل فلسطين**، دعت إليها جهات وهيئات وتنسيقيات مدنيّة للتنديد بالعدوان الإسرائيلي على غزّة. ترفع المظاهرة، التي تتجمّع في ساحة بوليفار الرئيسية، شعارات **غزّة حرّة**، و **أوقفوا الإبادة الجماعية في فلسطين**.

حتى الثالث والعشرين من شباط/فبراير المقبل، يستمرّ في «غاليري صالح بركات» ببيروت معرض **The Turn** للفنّان السوري **أنس البريحي** (1991). يضمّ المعرض عشر لوحات، تعكس رحلة إلى لحظات حميمة ومربكة ومؤلمة ومعقّدة من الوجود، عادةً ما يجري نسيانها أو تجاهلها أو عدم الانتباه إليها.